



# قرأت القدر الماضي من الآداب

بقلم  
الدكتور كمال يوسف الحاج

أخي  
في زحمة اعمال ، رغبت اليّ في ان اتقد المدد الفائق من الآداب ، فلم افو على رد الرغبة ، لانني اكن لشخصك التكريم ولجنتك التقدير ، ولحر كنتك القلمية الاعجاب والاحلال . ان مجلة « كالأداب » تفرض قدسها ، والعمل في مداها واجب قومي .  
قرأت المدد ، يا صديقي ، سطرأ سطرأ ، بل كلمة كلمة ، وامعنت البصيرة في كل ما حادته به قرائح الكتاب - من قصص وقصائد وابحاث - فتبين لي امران : الامر الاول ، ان مجلة « الآداب » تعمل في سبيل غاية شريفة ، هي كشف الفطوات عن حقيقة التراث العربي - في الماضي - وتسديدا نحو آفاق جديدة ، تتلام ومستجدات المدنية التي نعيش في ظلها . وهو عمل تستحقون الشكر عليه ، لانه ينبثق من عنفوان التصميم الانساني . ان مجل القصص والابحاث تضرب على وتر واحد : ما عندنا من ايجاب في تاريخنا الغابر وما يجب ان يزيد عليه من امتدادات بناءة له . الامر الثاني تفوق الابحاث ، والقصص - في مجلتكم الممتازة - على الشعر . الحق يقال اننا مقلسون في الشعر ، عامة ، وقد بدأت القصة تكتسح ميدان الادب . نحن اليوم في عهد طوى صفحة الشعر . عهدنا عهد القصة . ان كل القصائد ( استثنى قصيدة نازك الملائكة ) من العيار الحقيف جداً ، كاتي بالشعر يختصر ، لا شعراء مجلين عندنا . لقد مضى عصر شوقي ، وحافظ ومطران . لهذا لم اعمل القلم نقداً في القصائد .  
وفي الختام اري من واجبي ان انوه بما احرزته عندي من كبير الاستحسان بحث الدكتور سهيل ادريس ، وقصيدة نازك الملائكة ، وقصة محمد ابو المعاطي ابو النجا ، ونقد الاستاذ موريث كامل . اربع يواقيت ، نود لو يكتب الله لها اخوات كثيرات في الاعداد المقبلة .  
وفقت في رفع آدابك على زاويات سليمة حكيمة .

## قصصنا القومي

الحاضر ان يكون هو الماضي الذي يتابع سيره ، وان اجدادنا يعودون فينا للحماً ودماً واحساساً وفكراً ، وينقلون اليّنا كل تراثهم »

اجل ! ان القصة - كغيرها من الوان الأدب - يجب ان تسدد عندنا نحو غاية قومية ، وتمت سدوت من تلقاء ذاتها - عملاً بنطق الحياة عينه . هذه الحقيقة لم تغرب عن بال ادريس ، فقد اظهرها بجلاء وتر كيز ، حين قال : « لا شك في ان قصصنا الجديد سيستغل في موضوعاته هذا الجانب من احساس الشعوب استقلالاً واسماً عميقاً بعد الآن لسبب بسيط ، هو ان الشعور القومي في نفوس الاجيال العربية الصاعدة يكثف ويمتد يوماً بعد يوم ، استجابة للاماني التي تنشأ لتحرر من الاستعمار والاستقلال الذاتي والوحدة الكبرى . ولما كان الادب العربي الحديث قد اخذ منذ حين يمشي خط سير الحياة العربية ويصور مختلف تياراتها ، فلا بد له من ان يسجل بمختلف الوانه ومنها القصة ، هذه المظاهر الجديدة . »

لا اريد ان ادخل في دقائق هذا الموضوع ، وقد مر عليه الكاتب مروراً سريعاً . ولا شك عندي انه يستحق كل عناية ودراسة ، في عصر اصبحت القصة سيدة الحلبة ، وصارت من اهم الوسائل التي تنمي الشعور القومي في افراد الشعب . فنحن - والموضوع خطير بكمكان - نرغب الى الدكتور ادريس في ان يضع لنا دراسة عامرة حول « قصصنا القومي » تكون الفريدة في نوعها عندنا . اذ ذلك تتمكن من ان نتناول جميع جهاتها ، بعمق واسهاب ، وان نعيّن السير الذي يجب على

« قصصنا القومي » من الابحاث البناءة ، التي حاول فيها الدكتور سهيل ادريس ان يستخلص نزعة واحدة - من نتاجنا القصصي - تسم هذه الامة بحيث تصبح طابعاً خاصاً بها . وقد وفق الدكتور ادريس اولاً في انتقاء هذا الموضوع ( الذي هو ابن الساعة في ميدان الادب عندنا ) ووفق ثانياً في معالجته بطريقة سائغة ، رغم الصعوبات التي تعترضنا « حين نحاول ان ندبل على النزعة القومية في ادبنا العربي الحديث »

طبيعي ، وادريس من فرسان القصة في هذا البلد ، ان يند يده الى فتح هذا الباب ، بعد ان اصبحت القصة ربة البيت . وطبيعي ايضاً ، ونحن في سفر التكوين بين الامم ، ان يسدد ادريس موضوعه نحو غاية قومية ، لان كل ادب - مهما كان مرهفاً - لا يمشي سير الامة ( فيأخذ ويعطي بتفاعل حي بينه وبين الشعب ) هذا الادب هو نوع من الزنا الفكري ، توجه النفس الشريفة ، ولا تقبل به مجاري الحياة المتعافية .  
هذه الغاية القومية ، حددها الدكتور ادريس في حديثه عن زيدان . قال « وهكذا يكون جرجي زيدان ، وسواه من الروائيين التاريخيين ، قد اسهموا في تنمية الشعور القومي بان الحوا على فكرة استمرار التاريخ ، واوحوا ان يوسع

قصصنا ان يتخذها ، ليفضي بنا الى الغاية المنشودة .

### التوجيه في الادب

ما زلت اذكر المناظرة الحلوة ، التي جرت بين طه حسين ورثيف خوري . وما زلت امرّ في ذهني الصور البديعة التي استدعت انتباهي ، يومذاك ، والاستاذان كفرنسي رهان . الحق يقال ان الموضوع كان جباراً ، اي واسعاً شاسعاً ، الامر الذي يجعل كل فريق يصول ويجول في الناحية التي ينتقيا . ومن هنا يحصل الجدل . يقيني انه يجب - حيال مواضيع كهذه - تحديد الكلمات المختلف عليها ، لأن النزاع غالباً ما يقع بين الطرفين ، نتيجة عدم اعطاء المعنى ذاته للكلمة ذاتها . وهذا يعني ان سبب الجدل هو سوء تفاهم ، لا سوء فهم ، هو وليد البلبلة في المفاهيم .

لا ابالغ اذا قلت ان طه حسين ورثيف خوري متفقان جوهرأ ، لان طه حسين لم ينكر صراحة اثر البيئة على الاديب ورثيف لم ينكر صراحة شخصية الاديب في نتاجه . هذا ما كنت اؤمن به ، منذ تلك المناظرة الحلوة بينهما . فلو عني كل منهما بتحديد الكلمات التي دارت المعركة حولها لوجدنا انهما متفقان . وقد جاءت مقالة الاستاذ رثيف خوري ( عودة الى مسألة ) برهاناً على ايماني هذا ، قال :

« اذا كان الاديب ، اولاً ، لا يتناول مادة ادبه من نفسه الا بمعنى مجازي ، بل تفد عليه هذه المادة من خارج نفسه ، من المجتمع والطبيعة ، فان التوجيه لا يراد به قط الاملاء من قبل حزب او ملك او حكومة ، وهذا ما شئت توضيحه ثانياً . وهو الذي جعلني في المناظرة على ان اصبر على ان الادب ، وان لم تكن مادته ميتافيزيكية ، بل تابعة من المجتمع والطبيعة حول الاديب ، فهو بالنتيجة فعل خلق نفسي ، وفعل خلق فردي ، بمعنى ان الاديب يصوغ ادبه في بوتقة نفسه ، ويصوغ ادبه وحده . واصح ما يكون هذا الفعل ، فعل الخلق الادبي ، اذا حصل باختيار الاديب وحرية واقناعه » بهذا القول نرى المتناظرين على صعيد واحد ، بعد ايضاح مفهوم الكلمات . والحقيقة ان الفاصل بين الاديب وعصره غير كائن . اين ينتهي الاديب ، واين يبدأ المجتمع ؟ من منا يستطيع ان يجيب عن هذه الاسئلة المصطنعة ؟ لا حياة لمجتمع لا افراد فيه ، ولا قيمة للفرد الا بالمجتمع الذي يعيش فيه ، هذا التفاعل الصريح ( من اخذ وعطاء ) بين الاديب وبيئته ، شيء فرغ منه الباحثون ، وقد اصبح من بديهيات علم النفس وعلم الاجتماع .

اما ان تكون مناظرة طه حسين ورثيف خوري ، قد اسالت هذا المداد الضخم حولها ( وستسيل منه اكثر ايضاً )

لينتهي الفريقان الى المصافحة ، فهو راجع الى ان هذه المباحث لا تشبعها جولة واحدة ، ولا تروها . لذا يجب العودة ، ثم العودة الى العودة ، لتظهر المفاهيم صحيحة .

مهما يكن من امر فالموضوع جدير بالمعالجة عندنا . وقد احسن الاستاذ خوري في العودة الى هذه المسألة . واني اراه يجتّم بحثه في الجملة الآتية التي تجمع بين النظريتين ، فائلاً :

« لا قوام للاديب ولا قيمة له الا بان يكون موجهاً وموجهاً ، بقصد الاديب ووعيه وعمق معرفته مع بقاء الاديب حراً مختاراً مستقلاً لا يلزم الا اقتناعه ولا تقمّي عليه بطريق ضميره الاحرمة القيم من حقيقة وخير وجمال وواجب . وجميعها عندي يتلاقى في الوطنية الصحيحة والانسانية الصحيحة اللتين ترد احدهما على الاخرى في انسجام ، وتتضافران على توفير الاستقلال والحرية والعدل الاجتماعي . »

ان يكون الاديب موجهاً وموجهاً ، فهذا لا شك فيه . الانسان ابن عصره . وان يكون الاديب حراً في كيفية اخراج نتاجه ، فهذا ايضاً لا شك فيه . الاديب ابن الموهبة . وهو لعمرى ما اظهره الاستاذ خوري في عودته الى المسألة بوضوح وامعان ، لا يتركان بعدهما مجالاً للنقد .

### اغنية حب للكلمات

توفقت نازك الملائكة جد التوفيق في هذا الشعر المنثور البديع . لكأني بها قد اظهرت - دون ان تعالج بأسلوب تحليلي - ما للكلمة من وزن ايجابي في تعبير الكيان الانساني فرداً ومجتمعاً ، وتسييره نحو البلاغ المنشود .

مر الفكر الانساني بمدة من الزمن ، اي خلل القرن الفاتت ، والنصف الاول من القرن الذي نعيش فيه - كان الادباء والفلاسفة يغمطون حق اللغة ، فلا يرونها غير واسطة زرية ، يمكن الاستغناء عنها تماماً ، والاتجاه الى الصمت لاستبطان اعماق الوجدان البشري . وحسبي ان اذكر اسم هنري برغسون - ههنا - زعيم هذه المدرسة ، التي جردت الكلمة من كل زخم بنساء ، وانهاث عليها باللائمة ، لانها لا تستطيع ان تعبر عن غمات الفكر الاصيل . هذه المدرسة نسبت الى اللغة كل ما يحصل من اخطاء وسوء تفاهم بين الانسان وبينه ، ثم بين الانسان واخيه الانسان . ولا اخال القاريء يجهل اننا ما زلنا تحت كابوس هذا الاعتقاد - لا سيما في لبنان - الامر الذي يحدونا على تهوين خطر اللغة العربية ، واعلاء شأن غيرها ، في المدارس والمعاهد .

هذا الاعتقاد المحقر للكلمة ، استغله المستعمر الدخيل ، وانعشه زمنناً طويلاً ، حتى صار منا وفينا ، وساعد - في ظني - على تأخرنا السياسي والفكري . انا مؤمن بان اعلاء قيمة

بالفشل الذريع . فهل بمن علينا الدكتور ادريس او الاستاذ البعلبكي ( وهما دعامتان كبيرتان في نهضتنا الترجيمية ) بدراسة ايجابية حول الترجمة ، ومدخلها ومفصلها ؟ وبذلك يسديان خدمة جليمة الى الفكر التحليلي عندنا ؟

### مشكلة الجمال في الفن

ان البحث في مجالات الفن من اصعب الامور ، التي يمكن ان يتصدى لها كاتب ، ومن اكثرها خيبة من حيث الوصول الى تعريف يتفق عليه الجميع . اما سبب هذه الصعوبة فهو عائد الى ان الجمال عدة مجالات . الفن فنون ، بسبب اختلاف جهاز الحس في كل نفس . لذا لا يشبت تحديده ثبات قاعدة بسيطة من قواعد العلم الايجابي . من هنا كون معضلة الفن معضلة شكل . يقول الكاتب : « يمتاز الفن بالشكل الجميل ... ايا كان لون هذا الفن ، وايا كان نوعه وطبيعته » .

وينطلق الاستاذ احمد زكي في تحليل موقف القدماء من فن الجمال ، فيمطي حكماً يشمل آثار القدماء حتى المسلمين منهم . قال «فهؤلاء لم يكونوا يرون الأعمال الفنية تتميز عن الأعمال الصناعية المثقفة بشيء .. فالشمر صناعة ، والرسم حرفة ، والموسيقى مهنة . ويكفي ليؤمنوا بذلك انهم لا يبتكرون الا بعد استهداف شيء محدد ... لم يكن الابتكار عندهم الهاماً . لم يكن مصادفة .. وانما كان قصداً ومماناة وممارسة ومحاولة .. كانوا يلتقون مع فناني الغرب .. كانوا يخرجون الاثر اخراجاً ارادياً تقليدياً .. لم يكن الواقع تلقائياً عضواً ، وانما كان متعمداً مقصوداً اليه ، مرسومه الاصل .. لم يكونوا بحاجة قاهرة لاعطاء معنى فكري لاي تصميم من تصميماتهم الفنية» . اما الفن الحديث فقد تبني معايير اخرى لفهم الجمال « لم يعد الفن يحمل هذه الهندسية ، وهو اذا عني بها فليس عن قصد و ارادة ، واذا الفنون في جلتها لا تحكم الصياغة الشكلية ولم يعد الفنانون يمتون بالشكل ، بقدر ما يمتون بالمضمون ، واضطر النقاد الى ان يتنازلوا عن فكرة التقويم النسبي بعد ان اصبح عند المحدين قيم تعبيرية تأخذ اصولها من المجتمع ... اذا اعتبرنا الكاريكاتير في الرسم لونا من الوان التعبيرية ، نرى الى اي حد يفنى الواقع او يتشوه على الاقل في سبيل المعنى الذي يستهدفه الفنان » ثم ختم الكاتب مقاله « والخلاصة ان جمال التكوين كان قبل شيئاً بصريا ، فاصبح اليوم نفسياً تكشف عنه عملية التفسير التي يقوم بها الناقد المتبصر الواعي »

هذا هو موقف الكاتب من مشكلة الفن ، فقد اعتبر الاقدمين طالي شكل ، واعتبر المحدين طالي معنى . غير ان هذا الموقف لا يتخلو من بعض التطرف في الحكم . لقد فصل الكاتب بين الشكل والمعنى - فصلا يكاد يكون قاطماً - فاعطى الشكل للاقدمين ، واعطى المعنى للمحدثين ان مثل هذا الفصل في علم كالفن هو اعتباطي صرف ، ولا يمكن بطريقه من الطرق ان تقول اين يبدأ المعنى ، واين ينتهي الشكل . كان على الاستاذ زكي ان يجدد ما هو المقصود بالشكل ، وما هو المقصود بالمعنى . غير ان هذا التحديد غير ممكن ، على الاطلاق ، اذ لا معنى خارج الشكل ، ولا شكل بدون معنى .

اللغة العربية ( ومنحها الصدارة في حياتنا التربوية ) يجب ان ينبثق من اقتناع فلسفي اولاً ، لترسخ هذه القضية في اذهاننا بطريقة نهائية .

وكم اعجبني ان ارى نفساً واعية كنفس نازك الملائكة ، وقلماً طرياً كقلم نازك الملائكة ، وخيالاً مجنحاً كخيال نازك الملائكة - يتنبه - وهذا دليل حس رفيف يلتقط النائيات ، فيقرها - يتنبه الى احد هذه المعطيات البديمية التي نحن بحاجة اليها .

ان « اغنية حب للكلمات » رائعة من روائع الشعر العربي الحديث . هي ديوان ايجابي يعيد الى اللغة قيمتها البناءة ، فنخرج من الصمت ، الذي هو حجة سلبية ، الى الكلام الصارخ في الشوارع . لا فرق عندي بين التفكير والتعبير . من ابتغى الاول ، ابتغى الثاني بالضرورة . من اراد عقلاً واضحاً سليماً ، اراد لغة واضحة سليمة . ان الانسان باصغره عقله ولسانه . هذا العقل وهذا اللسان وحدة لا تتجزأ مطلقاً .

فسقياً لريشة الملائكة ترسم لنا خطأ جباراً من خطوط صرحنا الاجتماعي . ان المستقبل للذين يعرفون كيف يتكلمون . الكلمة هي مقياس ما يوجد ، وما لا يوجد .

### فلنترجم

حسناً فعلت ادارة «الاداب» ، اذ نشرت هذه الرسالة القيمة ( الموجهة الى الاستاذ منير البعلبكي ) حول الترجمة لاديينا الكبير ميخائيل نعيمة . وقد يكون من الفائدة بكان ان يعاد الى هذا الموضوع بطريقة شبيعة ، ما دامت نهضتنا العربية تقوم - في الوقت الحاضر - اكثر ما تقوم على الترجمة ، كما يقول نعيمة .

«نحن في مرحلة من تطورنا الأدبي، الاجتماعي، تنبث فيها حاجات روحية كثيرة لم تكن نشمر بها قبل احتكاكنا الحديث بالغرب . وليس عندنا من الاقدام ما يفي لسد هذه الحاجات . فلنترجم . ولنجل مقام المترجم ، لانه واسطة التمازج بيننا وبين المائلة البشرية العظمى . ولانه، بكشفه لنا اسرار عقول وقلوب كبيرة تسترنا عتاً غوامض اللغة ، يرفنا من محيط ضيق الى محيط نشرف منه على العالم الاوسع . فلنترجم » .

رأبي ان نهالج قضية الترجمة ، بدقة وصبر ، لنعي قيمتها ومنافعها . يجب ان نميط اللثام عن بعض الاخطاء التربوية التي ما زلنا نرتكبها في معاهدنا ، عن طريق الترجمة . للترجمة منطق واضح سليم يلزم فهمه ، والا باءت جميع حاولاتنا

واصبحت البطولة الحلقة هي التي تناضل في سبيل الآخرين .

### شريعة الهدم في الانجيل الضائع

ينطوي مقال الاستاذ سامي عطفه على كثير من الحقائق التاريخية ، التي لم يبق شك فيها على الاطلاق ، عند اصحاء البصيرة . ولكن ثمة من يود التلاعب ، وطمس الواقع . وقد لا يصعب على ذوي النسبة السوداء ان يثيروا من التاريخ ما يستطيع ان يدعم حججهم ، ليقولوا اخيراً ان العرب عبيد التاريخ ، الى ما هنالك من انعام هذه المعزوفة الرتيبة . اجل لا يصعب لأن التاريخ لم يصبح علماً كيمياً ، غير قابل للجدل . هو كسيف ذي حدين ، يمكن اعتباره الى فوق ، كما يمكن اعتباره الى تحت ، وفق ما ينتج به المؤرخ من نزوع او نزوع .

الا ان هذه الفئمة المعرضة تجهل كون الشعوب تعرف كلهما - من حيث الجوهر - الهبوط والاعتلاء ، جرياً على تاموس التطور . وهذا يعني ان العصور المظلمة ، التي تمر بها الشعوب العربية ، مرت بها المسيحية ( في العصور الوسطى ) وان الاسلام - كدين - ليس مسؤولاً عن المظالم والارهاب ، والتمصب . هذه الميزات ، اعني المظالم والارهاب والتمصب ، اية طقوس دينية لم تعرفها عبر التاريخ ، واية حضارة شعب لم تدركها ، عبر الزمان ؟ التطور لا يحصل الا بحركة جدلية ، تارة الى فوق وطوراً الى تحت ، مرة الى البين واخرى الى اليسار .

لننظر دائماً بين الوضوح العقلي ، والتجرد العلمي الى حوادث التاريخ في الماضي ، وبزاهة واتزان الى حوادث التاريخ في الحاضر . فاننا نرى الجوهر ذاته ، عند جميع الشعوب والملل . ولهذا اعتبر كاتب المقال قد اصاب في بحثه موضع الحق ، وعبر بجلاء عما يجب قوله من حقائق تاريخية اصبحت من بديهيات العقل السليم .

### السفسطائية والطبيعة البشرية

ان العرض التاريخي للفلسفة السفسطائية جبل جداً ، وصحيح جداً ، لا سيما عندما اتى الكاتب على الروابط الشديدة بين هذه الفلسفة والطبيعة البشرية . وقد امتاز المقال بوضوح العبارة السلسة ، وباناقة الجمل ، وكياستها الامر الذي يجعل قراءته لذيدة ، ممتعة .

حبذا لو صفت جميع الابحاث الفلسفية ، عندنا بهذا الاسلوب الممتاز . ولكن اما كان بمقدور الكاتب - بدلا من ان يكتفي بالعرض فقط لمدرسة فلسفية عريقة في الفكر اليوناني - قلت اما كان بمقدوره ان يملل ويحلل ، ليخرج في النهاية بامثلة تطبقها على الشعوب العربية ؟

لا ارى للفلسفة قيمة ، اذا حلت من غايات اجتباعية . ان الفلسفة التي تخلو من هذه الغايات ، تخلو من وزنها الفلسفي . ولهذا كان الافضل ، بعد رض الشيق للفلسفة السفسطائية ، استخراج الامثولات الاجتباعية التي يجب ان نفيدها ، لنحققها ضمن اطار الشعوب العربية .

### زغاويد

لا تخلو هذه القصة - على صغر حجمها - من آفاق حلوة نستشرف بها بعض مجالات النفس البشرية . هي قصة لاجي، تزوج في بيروت ، بعيداً عن والديه الموجودين في فلسطين . وتشعر ام العريس بحجرة الحرمان ، فتتألم عندما ترى بالخيال ان ام العروس هي التي ستزغرد .

هنا بيت القصيد ، في ظني . هنا العقدة النفسية الكبرى ،

ما رأي الاستاذ زكي في الشاعر الافرنسي الكبير بول فاليري ، الذي كان يقول «ما نظمت قصيدة الا وحسب ذاتي امام مشكاة هندسية» والاستاذ زكي يعلم ، بلا شك ، ان فاليري - وهو شيخ الشعراء المحدثين - كان يعلق اكبر الاهمية على المبنى ، بل ارجع المعنى الى كونه مبنى . ماتوخى فاليري ، يوماً من الايام ، معنى منفصلاً ، بل كان الشعر عنده صناعة عقلية . وما رأي الاستاذ زكي في المصور الكبير بيكاسو؟ اما حيرت العالم لوحاته العجيبة الغريبة ، دون ان يصل احد الى فك الغازها ، وادراك المعنى الذي يريده ؟ ومنهم من يقول : لاعمى عند بيكاسو . لوحاته مجردة زيبج من الخطوط والاشكال .

لا اذهب مذهب هيغل فاقول « ان ايام الفن الجميلة قد انقضت بانقضاء القرون الوسطى ، وبانقضاء عصر الاغريق قبلها » ولا اذهب مذهب الاستاذ وكي فافضل بين المبنى والمعنى ، معطياً الشكل للاقدمين ، والمضمون للمحدثين . في مثل هذه الاقوال مائة وتطرف . ان الفن الكبير حيثما كان وفي اي وقت كان - لا يقوم الا على اقنومي المبنى والمعنى . فاذا كان الفن الحديث غير الفن القديم ( وهذا شيء طبيعي ) فليس مرد ذلك الى ان الاقدمين شكليون ، والمحدثين غير شكليين . ان السبب يرجع الى ان المتعضيات الاجتماعية قد تغيرت ، فتغير معها الفن . الفن الكبير كبير ، في كل زمان ومكان . وكبر الفن يقوم على التزاوج بين شكل كبير ومعنى كبير . اذا اخلت هذا التزاوج ، صغر الفن ، وهبط من علو سمائه الى حضيض الابتدال .

### الآخرون

قصة رائعة ، مدهشة ، خلابة ، جمعت في قبض حجمها سعة غوامض القلب البشري كله . فقد استعرض الكاتب ، بايماء زاخر ، جميع الثنايا الحيارى التي ينطوي عليها الانسان ، في عراكه الدامي مع الغاز الوجود . لكأن هذه الاقصوة قد انضغطت فيها قصة الانسان ، مما يجدد وضعها في مصاف الحوالد عندنا ، وعند الاغيار .

ان الذي قرب هذه القصة الى نفسي ، ضربها في الاعماق ، اي في تعاريج الباطنة التي يقوم عليها كل ظل من ظلال كياننا الظاهري ... وكم نحن بحاجة الى بث هذه الروح الفلسفية في جميع نشاطاتنا الفكرية - من ادب ، وفن وسياسة - حتى تتمكن من الصمود بجرأة ، في وجه الاعاصير . وقد استطاع كاتب هذه الحكاية الممتازة ان يعالج معضلة من اهم المعضلات الوجدانية التي تحوم عليها الفلسفة الحديثة ، اعني وجود الآخر .

الاحساس بالآخر ، او بالآخرين ، مبعث ضخم في الفلسفة الوجودية . وقد عاجلها الغربيون على صعيد البحث الجرد ، والقصة ، والمسرح . وكما احسن الكاتب في انتقاء هذا الموضوع لتوجيه بيئتنا التي نخرها سوس الانانية . ان عصرنا عو عصر انضواء والتزام ، عصر افلست فيه الانعزالية ،

الحقيقة الراهنة . والجدير بالذكر - هنا - ان المؤلف لم يتطرق في دفاعه عن العلم . فهو ، على رغم المحاولة التي قام بها لتعظيم خطورة العلم ، قدحسب للناحية السلبية حساباً كبيراً ، ووعى «ان اليقين العلمي ليس في درجة من التكافؤ تصممه عن الخطأ... وان الفلسفة العلمية المعاصرة ، في مجموعها ، لا تمكك شيئاً من هذا في كثير او قليل .»

من الجبل ان تتحلى مقالة عميقة كهذه بالانزان ، فلا تشطح في السلبية ولا في الايجابية ، بل تعتبر ان خير الامور هو الوسط ، حتى في القضايا الفكرية الخاصة . واذا كان لنا امنية ، فهي الاكثار من هذه الجولات الرصينة ، ولكن في ترجحات لا تضيي القارىء ، قبل ان يدرك المراد

### كشيان الملح

موضوع القصة جبل جداً ، ولكن الإخراج ضعيف . ان قلم الكاتب مازال رخصاً في مضاير القصة . فالعموض ، والترجرج ظاهراً تماماً ، لا سيما العقر في التحليل النفسي . ان القصة تقوم على درس نفسية الابطال ، بقدر ما تقوم على سرد الحوادث . هذه الناحية التشريحية ما فئت ناقصة - في قصصنا - وقد تضاعفت كثيراً في كشيان الملح .

ولكن الكاتب يجعل في تضاعفه امكانات محترمة ، تمد الكثير ، اذا تمهدتها باستمرار . ففي هذه الصورة ، «وتهاقت قطرات العرق على رقبته وسبح وجه الاسمر والتقى لسانه العطش بشفتيه القاعة ، ترى ما ضر لو كان هذا العرق عذبا !! انه لا يختلف في كثير عن الماء الذي يشرب ، ولا عن خبز الذرة الذي يأكل»

في مثل هذه الصورة الحلوة مواعيد ، تؤمل بمصاد زاهر ، في المستقبل . ان الذي يتركه فكرة كهذه ، ولوحة كهذه ، يعمل في مطاويه جنبياً يعد بشباب زاهر .

### صراع في الفن التصويري بين القديم والحديث

الاستاذ موريس كامل باع بطويل في نقد فن التصوير . فقد اعطى الدليل اكثر من مرة على بعد نظر في هذا الميدان وحنكة متمرسه ، بالاضافة الى كونه يزاول فن الالوان .

اما نقده للمعرض الثالث - الذي نظمه وزارة التربية الوطنية - فقد جاء برهاناً عن نضوج في قوى التحليل ، واقدام وجرأة على وضع القضايا في نصابها الحق . حبذا لو اقتفى جميع النقاد الفنيين عندنا ، اثر الاستاذ كامل في ما يكتبونه عن المعارض اذ كان فنانونا يندفعون بزخم اسد ، اذ يعلمون ان العين ساهرة ، والمضغ لا يرحم .

لقد اراد الاستاذ كامل ان يواجه حقيقة واقعا فني . فحرص على ان تكون مواجهته لهذا الواقع لا غبار عليها - من حيث الصراحة - فرمى بدون تردد قنبلة الاولى ، اذ قال « لا اثم في القول ... ان يجلو لبنان من ناقد فني واحد وان ينتهي امر النقد فيه الى نفر من صبيان الصحافة الاجبارية يتطفلون على الفن ويشوهون خلقه دون حياء . والذنب هنا ذنب الفنانين انفسهم - ذنب المشعوذين منهم ، والمأفونين الذين يلقون الصبيان السذج احكاماً خبيثة ترفع شأن من لا شأن لهم ، وتنال من قدر اصحاب الشأن ، ولا عين تراقب» كأي بالاستاذ كامل يضع فوراً اصبعه على مركز التشويه:

التي كان بمقدور الآنسة الموهوبة ان تتبسط بها ، لتظهر الصراع القاسي الذي يدور عن بعد بين ام العريس رام العروس . حبذا لو تركت الكاتبة العنان لقلها يصلول ، ويبحول ، واصفاً هذه المشكلة العويصة في نفسية المرأة . ولكن الكاتبة لم تمر بها الا مرور الكرام - في تمام النهاية ولذا خف وزن القصة ، من حيث التحليل النفسي .

### الشيء الذي يباع

يشوب هذه القصة القلق ، مبني ومعنى . لقد كان على الكاتب ان يبدأ فوراً من آخر القصة ، ويضرب قلمه في تحليل نفسية اخته ، التي اقدمت على ما فعلته . ان القسم الاول ، والا كبر ، من القصة هو سرد حوادث جامدة ، كان باستطاعة الكاتب ان يسرع في المرور بها ، ليصل الى اللحظة التي التقى فيها شقيقته ، ومن ثم يسترسل في حوار نفسي جميل عن الدوافع الباطنية التي حدثتها على ما فعلته .

اذا خلت القصة من هذه الانوار الحارة التي يسدها الكاتب بقوة ، كي تتشقق تحت حرارتها النفس البشرية ، فتنتطق بمغامضا ، واسرارها ، قلت اذا خلت القصة من هذه الانوار الكاشفة ، اهملها التاريخ ، وكانت مجرد سرد لحوادث تافهة .

### التوجيه العلمي ومستقبل الانسان

بحث ضخم تماماً بالاساس ، ولكن ترجمته قلقة ، الامر الذي جعل افكار المؤلف غامضة ، في بعض الاحيان . ولهذا لا يدرك القاري غاية الكاتب الا بجهد جيد . ويجدر الاشارة هنا الى ان الترجمة الفلسفية مضنية كثيراً ، لا يجيدها الا كل من اوتي طواعية في الاداء . فهي تتطلب امانة في النقل ( فتكاد تكون كالترجمة العلمية ) وتتطلب تصرفاً لبقاً ، في بعض الاحيان ( فتكاد تكون كالترجمة الادبية ) . ومن هنا هذه الصعوبة الكأداء في الترجمات الفلسفية ، اي التوفيق بين وضوح العلم وعبارة الادب . ومما يكن من امر ، فان المترجم يستحق الشكر على القيام بمثل هذا العمل المضنك .

اما زبدة البحث فهي تدور على ان العلم لا يتفصل عن باقي نشاطات الانسان ، في المجتمع ، ومن هنا تأثير الاختراعات التكنيكية على مجمل التقاليد ، التي تسير حياة المرء . تؤثر على الاعتقادات الراسخة ، المتصلة بالكون ومر كباته فتغير عادات الفكر ، وتبدل العادات العقلية . فالتأثير العلمي ظاهر مبين ، في جميع الميادين ، ومن الصعب جداً متى نشأت بعض المستحدثات التكنيكية - ان تستمر الشعوب على حالات سلوكية مألوقة . واذا كانت تلك الاختراعات العلمية الحديثة لا تفضي دائماً الى تبدلات واضحة في السلوك الاجتماعي ، فانها تلب ( على الاقل ) دوراً كبير الاعتدال في تقويم سياسة اجتماعية ، وفي إيجاد استمدادات ادبية جديدة . وقد ختم المؤلف بمحة « ان الفلسفة العلمية المعاصرة قد خدمت اقنوم المثل الانسانية وامثلها » .

ما من احد يستطيع ان ينكر اثر التقدم العلمي ، في باقي المعتقدات الانسانية كالدين والفن ... الخ . ان التاريخ امامنا ليرهن لنا عن هذه

صدر حديثاً

# عقلك ..

## مفتاح الفكر ص ١

هذا الكتاب يشعرك بالثقة المطلقة في كل كلمة من كلماته . انه منهج كامل لتدريب العقل ، يتعلمه المرء بنفسه ، انه منهج ضروري لافراد كل عائلة كي تحدد هدفها في الحياة وتسير اليه بخطى واثقة نحو النجاح المطلق

تأليف

د. م. ج. انيس

مؤسس البرنامج

تصريف

مفوض أسعد فريد

منشورات

مكتبة المعارف في بيروت

شارع المعرض - بناية الغندور

تلفون

٢٨٨٠١

ص . ب

١٧٦١

الثنى ٣٠٠ ق . ل

لا توجيه في الفن من قبل ارباب محترمين . لا تدريب يترصن . ولا اخال احداً يغالط الكاتب فيما ذهب اليه - وهنا نقطة من اهم نقاط الضعف عندنا - فقد اؤتمن الصبيان على توجيه الفن ، اذ انبرت الجرائد الرخيصة والمجلات السطحية ترسم خطوط الاتجاه .

هذا من حيث مساهمة الصحافة في توجيه فن التصوير . اما كيف يتطور في لبنان ، فالاستاذ كامل متفائل الى حد بعيد - كما يظهر من كلامه - شرط ان يطلق فنانونا الانعزالية الارستقراطية ، وقصور ذوات البلد ، ليحتكوا بجملة الشعب فينبع اذ ذلك من « مأساة جوهرية تلزم الانسان » . انا معه . وفي رأي الاستاذ كامل ان فن التصوير - في لبنان - يتجه هذا الاتجاه الواجب ، فمن تردد ، وخشية ، ظهرا في المعارض السابقة عند الفنانين ، حل « شعور الثقة بالنفس ، ونظم المجددون صفوفهم لمعركة عنيفة ضد المدرسة القديمة » .

لا يسعني الا ان اوافق الاستاذ كامل على اشارته بضرورة جعل فن التصوير اقرب الى الانسان ، اي الى جعله يلتزم القضايا الصحيحة التي تلاحق المرء ، بدلاً من ان يكون سبب لهو فقط ، او ترف . الفن تلبية لنداءات عميقة في الانسان . عليه اذن ان يحمل معنى انسانياً عميقاً . هذا العمق في المعنى الانساني ، لم يتركز بعد في اذهان فنانينا ، ولكنه اخذ يتبرغم . وهي بادرة امل طيبة .

ولكن حبذا لو جاد علينا الاستاذ كامل بمنهج يرسم لنا الدروب المؤدية الى الفن الكبير . ان النقد امر سهل ، والصعوبة كلها في كيفية التوجيه ، وكأني بالاستاذ كامل لا يريد ان يذهب الى ابعد من ارسال نداء ، تاركاً وضع منهج التقنية الجمالية لسواه من دهاقنة هذا الفن . وهو لعمرى تواضع من الكاتب عندما يقول « اعترف - ولا خجل - بنقص معرفتي الاصولية للفن الكبير ، غير ان الاعتراف بالنقص - والنقص غير الفقر - لا يوجب الصمت او الهرب من مواجهة حقيقة واقعا الفني » .

قلت انه تواضع من الكاتب . لانني اعلم بريشته الحساسة فعمسى الا يكتفي هذا القلمي - في المستقبل - بالناحية السلبية من النقد ، بل يقص علينا حكاية اختبارات ، التي اوته تفوق اللون على الكلمة ، حتى راح ينهال باللائمة على اللغة وبداعب الالوان الطريثة .

كمال يوسف الحاج